تأليف
فضيلة الشيخ
محمد بن رمزان الهاجري

أسباب احتواء الخوارج لبعض أبنائنا

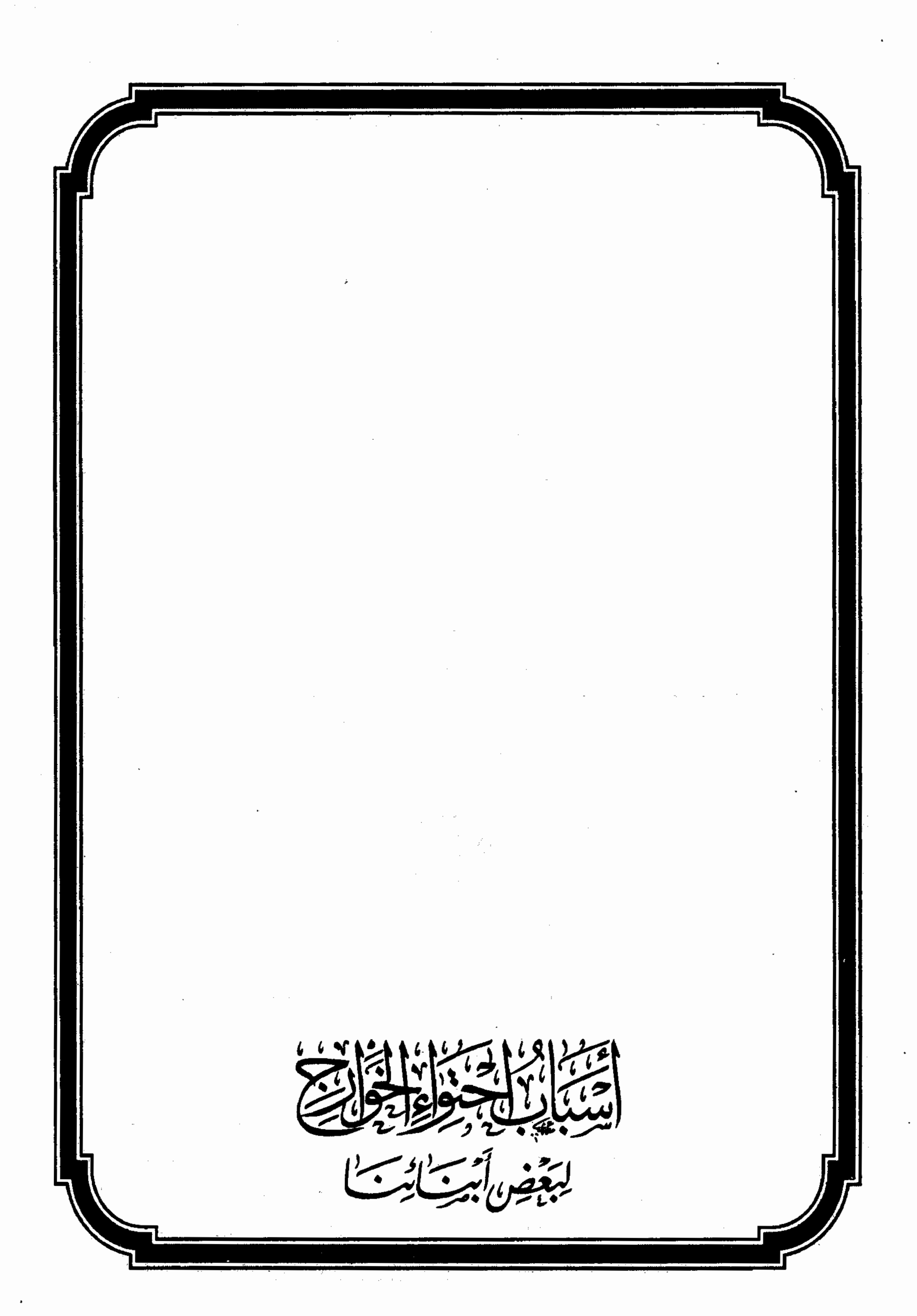







مـصــــورات
أبي عبد الرحمن السلفي الفلسطيني


إضغط على
الرابط التالي
هـــنا
scannerbooks.blogspot.com
لمزيد من الكتب



أسباب احتواء الخوارج

لبعض أبنائنا

الطبعة الأولى ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م

رقم الإيداع: ٢٢٣٥٦/٢٠١٣م



العنوان: ليبيا - جوال: ٠٩١٧٤٠٨٤٧٠ (٠٠٢١٨) / ٠٩٢٤٢٤٠٣٥٠ (٠٠٢١٨)

E-mail: daralshaba@yahoo.com



العنوان: - الموصل - العراق

جوال / ٠٧٧٠٢٠٧٠١٦١ E-mail: kh88m@yahoo.com



٨١ شارع الهدي المحمدي — من أحمد عرابي — مساكن عين شمس القاهرة — مصر

جوال: ٠٠٢/٠١٢٨٨٨٨٤٠٨١ — ٠٠٢/٠١٢٨٨٨٨٤٠٧٨ — ٠٠٢/٠١٢٨٨٨٨٤١١٣

E-mail: daralminhaj@yahoo.com / daralmenhaj@hotmail.com

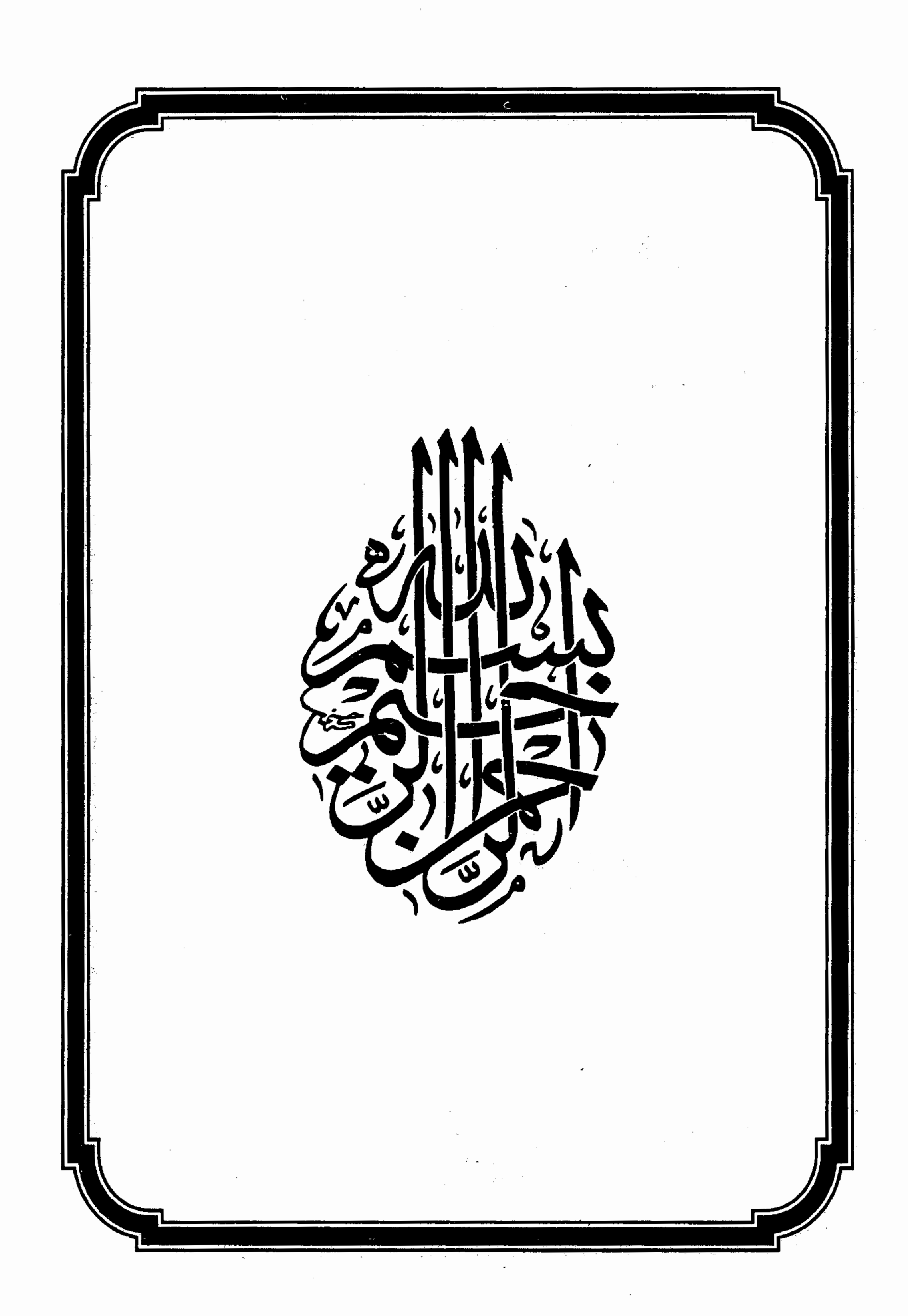


تأليف
فضيلة الشيخ
محمد بن رمزان الهاجري








بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الناشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ لله ربِّ العَالَمين، إِلَه الأَوَّلين والآخِرين، وقَيُّومِ السَّمَاوَات والأَرَضينَ، الَّذِي لا عِزَّ إِلَّا في طَاعَتِهِ، ولا غِنَىٰ إِلَّا في الافتقارِ إِلَيْه، والصَّلاةُ والسَّلامُ الأَكْمَلَان الأَتَمَّان علىٰ رَسُولنا مُحَمَّدٍ الأَمِينِ، المَبعوث رَحْمَةً للعَالَمِينَ، سَيِّد الأَوَّلينَ والآخِرينَ، وإِمَام الأَنْبِيَاء والمُرْسلينَ؛ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيه وعَلَىٰ آلِهِ وأصحابِهِ والتَّابعين لهم بإِحْسَانٍ إلىٰ يَوْم الدِّين.

وبَعْد:

فدُونَك -أَخِي القَارئ الكَريم- مُحَاضرةٌ قَيِّمةٌ لفَضيلَة الشَّيخ مُحمَّد ابن رَمْزان الهاجري حَفِظَهُ اللهُ، والَّتي تَحدَّثَ فيها عَنْ دَوْر الخَوَارج في

صَرْف الشَّباب عن أَهْل العِلْمِ، وبَيَّنَ أنَّ من أَعْظَم أَسْبَاب الانْحَراف: تَرْك التَّلقِّي عن أَهْل العِلْمِ.

كلُّ هذِهِ الفَوَائد وغَيْرها اسْتنبَطَها من قصَّة المُجْتَمعين عَلَىٰ التَّسبيح، والتَّحميد، والتَّهليل، وبأَيْدِيهِمْ حَصىٰ يَعدُّونه بِهِ، الَّذين أنكرَ عَلَيهم الصَّحابيُّ الجليلُ عَبْد الله بن مسعودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

ولأهمِّيَّة هذِهِ المُحَاضرة القَيِّمة- قُمْنا في دار «المِنْهَاج» بإِعْدَادِهَا للنَّشْر في هذِهِ الرِّسالة، بَعْد أَنْ عَرَضْناها عَلَىٰ فضيلَة الشَّيخ مُحمَّد بن رَمْزان الهاجري حَفظَه الله؛ لمُرَاجَعتها، وذَلِكَ وَفْقَ الخُطُواتِ العِلْميَّة المَنْهجيَّة التَّالية:

١- تَفْريغ المُحَاضَرة، ومُرَاجَعتها مُراجَعةً لُغويَّةً دقيقةً.

٢- إِعَادَة صِيَاغَة بَعْض الجُمَل والفقَرات، وحَذْف بَعْض الكَلِمَات المُكرَّرة، ونَحْو ذَلكَ؛ مُرَاعاةً لتَحْويل المُحَاضرات المَسْموعَة إلىٰ كتابٍ مَقْروءٍ.

٣- إِثْبَاتُ الآياتِ القرآنيَّة بالرَّسْم العثمانيِّ، وعَزْوها إلىٰ مَوَاضعها في المُصْحَف الشَّريف.

٤- تَخْريجُ الأَحَاديث بمَنْهجٍ مُوحَّدٍ، وإِثْبات الأَحَاديث الَّتي أَشَار

فضيلةُ الشَّيخ إلىٰ مَعْناها بألْفَاظها، وذَلكَ في الحَاشيَة.

٥- شَرْح بَعْض الكَلمَات الغَريبَة، وإِضَافَة بَعْض التَّعليقات لإبْرَاز المَعْنىٰ المُرَاد.

٦- وَضْع عُنْواناتِ لمُحْتوياتِ الرِّسالة، وعَمَل فِهْرسٍ لها؛ ليَسْهلَ عَلَىٰ القَارئ الوُصُول إلىٰ بُغْيته بِيُسرٍ.

والله مِنْ وَرَاء القَصْد، وهُوَ المُوفِّق والهَادِي إلىٰ سَوَاء السَّبيل.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين

قسم التحقيق والبحث العلمي
بـ"دار المنهاج"

المقدمة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّ الحَمْدَ لله، نحمدُهُ، ونَسْتعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونَعُوذُ بالله مِن شُرُورِ أَنْفسنا وسَيِّئاتِ أَعْمالنا؛ مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِل فَلَا هَادِيَ لَه، وأشهدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله، وأَشْهدُ أنَّ مُحمَّدًا عبدُهُ ورَسولُهُ.

أَمَّا بَعْدُ:

فِيمَا مَضَىٰ قَبْل أَكْثر من سِتِّ سَنَواتٍ أَلْقَيتُ في هَذَا المَسْجدِ فِيمَا أَذْكرُ مُحاضرةً بِعُنْوانِ: «**الغُلوُّ والإِرْهابُ: مظاهر، وأسباب، وعلاج**»، وهناك أيضًا مُحاضراتٌ أُخْرَىٰ في غَيْر هذَا المَسْجِدِ.

فهَكَذا الوَاجبُ: التَّناصحُ في سَائِر أُمُورِ الدِّينِ.

ومَجْلسُ هذِهِ اللَّيلة مُحاضرةٌ بعُنْوانِ «**أسباب احتواء الخَوَارج لبَعْضِ**

أَبْنائِنا»، ولكن أُبَشِّر الجميعَ أنَّ نِسْبةَ هَذَا الاحْتِوَاءِ قدْ قَلَّتْ بعدَما قامَ علماءُ أهلِ السُّنَّةِ بوَاجِبِ النَّصِيحةِ للعَامَّةِ؛ فبيَّنُوا لهم أَوْضَحَ البَيَانِ، وذَاعَ ذَلِكَ عَبْرَ وَسَائِلِ الإِعْلامِ؛ ما يُسْمع مِنْهَا، ومَا يُقْرأ، أو مِنْ خِلَالِ الأَجْهزةِ مِنَ القَنَواتِ، ومَوَاقع (الإنترنت)، وقَبْل ذَلِكَ جَوَلاتٌ وَزِيَاراتٌ ومُحَاضراتٌ ولِقَاءاتٌ قَامَ بها عُلَماءُ السُّنَّةِ (علماءُ التَّوحيدِ والدَّعوةِ السَّلفيَّة)؛ لِيُبيِّنوا زَيْغَ وَضَلالاتِ المُنْحرِفِينَ.

وقَدْ فَضَحُوا -بفَضْلِ الله تَعَالىٰ- هَذَا الفِكْرَ المُنحرفَ بجَمِيع أَقْطَابِهِ، ودُعَاتِهِ، وفِرَقِهِ، وجَمَاعاتِهِ، الَّذين عَاثُوا في الأَرْض فسادًا؛ فَلَوَّثُوا أَفْكَارَ الأبناءِ مِن خِلَالِ الحِقْدِ الدَّفينِ عَلَىٰ وُلَاةِ أَمْرِهم، وعَدَم الاحْتِرَامِ لعُلَمائِهم، والطَّعنُ فِي هَذَيْنِ الصِّنْفينِ جَعَلُوهُ سُلَّمًا لاحْتِوَاءِ الشَّبابِ.

فإِذَا كانَ وَلَاءُ العَامَّة ليس للعُلَماءِ -لا قَدَّرَ الله- فَلِمَنْ يَكُونُ؟!

إِذَا وَقَع ذَلِكَ -والعياذُ بالله- تَصدَّر لهم زُمرةٌ سَيِّئَةُ الاعْتِقَادِ، خَبيثَةُ الطَّوِيَّةِ، ما كانَ مِن نِتَاجها إلَّا ما يُرَىٰ مِنْ عَبَثٍ وتَفْجيرٍ.

وآخرُ ذَلِكَ ما حَصَل في هذِهِ المَدِينةِ (مدينة دقيق) سَنَة ١٤٢٧هـ عِنْدَما حَصَلَ مِنْهم الأمرُ الخبيثُ الدَّنيءُ السَّاقطُ الرَّدِيُّ الَّذي لا يَنْصرُ دينًا، ولا يُبْقي دُنيا؛ فَأَخْزاهم اللهُ، وجَعَل كيدَهم فِي نُحُورِهِمْ؛ ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ

فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ [الأعراف:١٣٩].

نَعَمْ، كَانَ فِيمَا مَضَىٰ لهم شيءٌ مِنْ الاحتواء؛ لمَّا أن كانوا يَقومون بذلك الدَّوْر الشَّيْطَاني، فلمَّا ذَاعَ وشَاعَ في النَّاس مَا لِوُلاة الأَمْر مِن حَقٍّ- خَرَج منهم فِئَامٌ لَمَّا رَأَوْا منهم تكفير الحُكَّام.

ولمَّا أن بَيَّن علماءُ السُّنَّة الحَقَّ بدليلِه- انكشفَ حالُ أهل الهَوَىٰ.

ولمَّا أن حَثُّوا علىٰ لزوم الجماعة والسُّنَّة- بَانَ حالُ أهلِ الفُرقة والبِدعة.

ولما بيَّنوا حالَ الجِهاد- ظَهَر الفَرقُ بينه وبين حَال الإفساد.

ولما بيَّنوا حالَ البِدع وأهلها والموقف منهم- تَجَلَّىٰ للناس السُّنِّيُّ مِن البِدعي، بعد ما عاش الناس رَدْحًا من الزَّمَن، وبعد أن سَاوَوْا بين دُعاة البِدع ودُعاة السُّنَّة.

ويُعجبني غضبُ كثيرٍ من المسلمين ويُفرِحني، وهو ديانة لله عَزَّ وَجَلَّ- عندما تَكَلَّموا في هذا الخَبيثِ الَّذي طَعَنَ في عائشة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

ولكن أيضًا يُحزنني في المُقابل عندما يُثنىٰ علىٰ مَنْ يَطعنُ في عُثمانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ويقول: «إنَّ تاريخَ عُثمان يُعتبر فَجْوةً في تَارِيخ العَالَمِ

الإِسْلاميِّ»[١].

(١) قال سَيِّد قُطب: «رَجَع عمرُ -إذًا- عن رأيه في التفرقة بين المسلمين في العَطَاء حينما رأىٰ نتائجَه الخَطِرة إلىٰ رأي أبي بكر، وكذلك جاء رأيُ عَلِيٍّ مُطابقًا لرأي الخليفة الأوَّل، ونحن نَمِيل إلىٰ اعتبار خلافة عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ امتدادًا طبيعيًّا لخلافة الشيخين قبله، وأنَّ عَهد عثمان كان فَجْوة بينهما، لذلك نُتَابع الحديث عن عَهْد عَلِيٍّ، ثم نَعود للحديث عن الحالة في أيَّام عثمان». «العدالة» (ص١٧٢)، الطبعة الثانية عشرة، الطبعة الخامسة (ص٢٠٦)، وفي الثانية عشرة: «وأنَّ عهدَ عثمان الذي تحكَّم فيه مروان كان فجوةً بينهما».

انظر «مطاعن سيد قطب في أصحاب رسول الله ﷺ» فضيلة الشيخ ربيع بن هادي المدخلي، الفصل الخامس والعشرون: (خلافة عثمان كانت فجوة في نظر سيد)، حيث ذكر كلام سيد قطب السابق، ثم قال: «المآخذ: أولًا: أنَّ كلًّا من أبي بكر وعمر بارٌّ راشدٌ مُتَّبِع غير مبتدع، ولا خلاف بينهما رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ فقد كان مِن هدي رسول الله ﷺ الواضِح الكَامل الذي شَاهَدَاه مِن أوَّل غَزْوة إلىٰ آخرها ما يَكفيهم بعضُه فَضْلًا عن جميعه، وقد تقدَّم بيان ذلك.

وعليه: فلا رَأي سَابق لِعُمر، ولا رُجوع ولا عَزْم علىٰ التأميم والمُصادرة، ولا رأي لأبي بكر؛ وأعاذهما اللهُ مِن أن يُخَالفا هَدْي النبي ﷺ الواضح.

ثانيًا: لقد وقع سَيِّدٌ في هُوَّة عميقة بإسقاطه خِلافة عُثمان الخليفة الراشد ضاربًا عُرض الحائط بإجماع الصحابة وأهل السُّنَّة والجَمَاعة علىٰ صِحَّة بَيْعته وخلافته الرَّاشدة.

أَتظُنُّ هذا هَيِّنًا سَهْلًا علىٰ نُفوس المؤمنين؟ كَلَّا!

إنَّه لا يَسْهل هذا إلَّا علىٰ نُفوس الخَوَارج والرَّوَافض، وإن تَبَجَّحوا بالإسلام والجهاد؛ فالنُّفوس المُؤمنة الزَّكِيَّة تَرفض هذا كُلَّ الرَّفْض، وتقول: ﴿سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ١٦﴾ [النور:١٦]، وتقول: ﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ١٥﴾ [النور:١٥].

لَا أَدْري بماذا سَقَطت خِلافة عثمان عند سيد قطب؛ أَبِالكُفر، أم بالفِسق؟!».

ويُحزنني أكثر عندما أسمعُ مَن يُؤَيِّد ومن يُثني علىٰ مَن يقول: «إنَّ الخَوَارجَ في وَقْتِ عُثمانَ أَقْربُ إلىٰ رُوحِ الإسْلامِ مِنْ حُكْمِ عُثْمانَ»[(١)].

فالطَّعْنُ في عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَقَع من يَاسِر الحَبِيب.

والطَّعْنُ في عُثْمان وَقَع من سَيِّد قُطْب؛ فأَيْنَ الغَضَبُ من الجِهَتَينِ؟!

فهَذَا من أَذْنَابِ الرَّوَافض، وهو في هَذَا العَصْر، (أَعْنِي: يَاسِر الحبيب)، وذَاكَ من رُؤُوسِ الخَوَارجِ، (أَعْنِي: سَيِّد قُطب).

إنَّ الغَيْرَةَ علىٰ التَّوْحيدِ والسُّنَّةِ ليس فيها تمييزٌ، وإنَّ النُّصرةَ لما عليه آلُ البيتِ وما عَلَيه أصحابُ مُحمَّدٍ ﷺ- لا يُنْظَر فيها للقَائِلِ كائنًا مَنْ كان.

وإنَّما تكون الغَيْرةُ الحقيقية علىٰ جَنَابِ هؤلاء.

(١) قال سيد قطب: «وأخيرًا ثَارَت الثَّائِرةُ علىٰ عُثمان، واختلط فيها الحقُّ بالباطل، والخيرُ بالشَّرِّ، ولكن لا بُدَّ لِمَن يَنظر إلىٰ الأُمور بعين الإسلام، ويَستشعر الأمورَ بِرُوح الإسلام أن يُقَرِّر أن تلك الثورة في عُمومها كانت أقربَ إلىٰ رُوح الإسلام واتِّجَاهِه مِن مَوْقف عُثمان، أو بالأدَقِّ مِن موقف مَروان، ومِن ورائه بنو أُمَيَّة». «العدالة» (ص١٦٠، ١٦١)، ط. الثانية عشرة.

دور الخوارج في صرف الشباب عن أهل العلم

نعم، كان لأولئك الخوارج دورٌ وتأثيرٌ في صَرْف الشباب عن أن يَتَّبِعوا أهلَ العلم بمُوجب الأدلة؛ لأنَّهم ظَهَروا لهم في صورة حَسَنة، يَدْعُونهم فيها إلىٰ تَعَلُّم القُرآن، ويدعونهم فيها إلىٰ سماع بعض المُحَاضرات والكلمات التي يَبُثُّون فيها بعضَ الإيحاءات.

أَلَا وإنَّ مِن أهمِّ قَوَاعد التأصيل: أن نَسير علىٰ ما كان عليه مُحمَّد ﷺ، وصَحابته.

وإليكم حَادثة حَصَلت في زمن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في العراق، والراوي لها أبو موسىٰ الأشعريُّ رضي الله عنه، وسنستفيد منها عبر واقعة في هذا الزمن؛ فماذا حصل فيها؟

روىٰ الدارمي في «سننه» عن عمرو بن يَحْيىٰ، قال: سمعتُ أبي يُحدِّث عن أبيه، قال: «كُنَّا نجلسُ علىٰ باب عبدِ الله بن مسعودٍ قَبْل صلاة الغَدَاة، فإذَا خَرَج مَشَينا مَعَه إلىٰ المسجدِ، فَجَاءنا أبو موسىٰ

الأشعريُّ، فقال: أَخَرَجَ إليكم أبو عبد الرَّحمن؟

قلنا: لا، بعدُ.

فجَلَس معنا حتَّىٰ خَرجَ.

وكان عبدُ الله بن مسعودٍ أميرَ الكوفة؛ فذهب إليه، وانتظره حتىٰ خرج؛ لأن الأمرَ مُشْكِل، ولا بُدَّ له مِن تصحيح، لذلك أتىٰ وليَّ أمر البلدة، وهو الأمير.

فلمَّا خَرجَ ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال له أبو موسىٰ: يا أبا عبد الرَّحمن، إنِّي رأيتُ في المسجد آنفًا أمرًا أنكرتُهُ، ولم أرَ -والحمد لله- إلَّا خيرًا.

قال: فَمَا هُو؟

فقال: إنْ عشت فسَتَراه.

قال: رأيتُ في المَسْجدِ قومًا حِلَقًا جُلُوسًا يَنْتظرونَ الصَّلاةَ، في كلِّ حلقةٍ رجُلٌ، وفي أَيْدِيهم حَصًىٰ، فيقول: كَبِّروا مِئةً، فيُكبِّرونَ مِئةً، فيقول: هَلِّلوا مِئةً، فيُهلِّلونَ مِئةً؛ ويَقُولُ: سَبِّحوا مِئةً، فيُسبِّحونَ مِئةً.

قال: فماذا قُلْتَ لهم؟

قال: ما قلتُ لهم شيئًا انتظارَ رَأْيِكَ، أو انتظارَ أَمْرِكَ.

فالأمور المُشْكِلات التي فيها جانب خيرٍ، وفيها جانب شَرٍّ، لا بد أن يعود الأمر فيها إلىٰ ولاة الأمر؛ مثل: جهات مُحْتسبة، أو مَحكمة، أو هَيْئَة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو المُحَافظ، أو مسؤول المكان.

فينبغي عليك إذا رأيت أمرًا أنكرتَه أن تأتي إلىٰ المسؤول في هذه المنطقة، وتذكر له ما رأيت.

فإن كان هذا المنكرُ سُوء أخلاق، فهناك جهة مُستقلة.

وإن كان في جانب السلوك أو المُخَدِّرات أو غيرها، فلها جهتها، ونحو ذلك.

فالحمدُ لله ربِّ العالمين؛ البلادُ فيها ما يُعين علىٰ قَمْع الشَّرِّ وأهلِه، ونُصْرَة الحقِّ وأَهْلِه، وإِعَانة المُصْلِحين، وقَمْع المُفسدين.

وعودةٌ إلىٰ ما جَرىٰ بين عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وبين أبي موسىٰ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

فعندما قال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لأبي موسىٰ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: فماذا قُلْتَ لهم؟

قال له أبو موسىٰ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: ما قلتُ لهم شيئًا انتظارَ رَأْيِكَ، أو انتظارَ أَمْرِكَ.

فقال: أَفَلَا أمرتَهم أن يَعدُّوا سَيِّئاتِهم، وضَمِنْتَ لهم ألَّا يضيعَ مِنْ حَسناتِهِم!

إذًا؛ الأمر الأول الَّذي أنكره عليهم: أنَّهم يَحسبون على الله حَسَناتهم في أمرٍ، الأصل فيه الإطلاق، وهم قد جعلوا الأصل فيه الأمر، ثُمَّ حَدَّدوه بما لم يُحَدَّد شرعًا، فالمُحَدَّدات في الشريعة معلومةٌ، وهؤلاء جعلوا الذِّكْر الَّذي أصلُه الاستحباب- الأمرَ.

والأمر الثَّاني: أنهم خالفوا في طريقة الذِّكر، فقد قال النبي ﷺ لزوجاته: «عَلَيْكُنَّ بِالتَّسْبِيحِ، وَالتَّهْلِيلِ، وَالتَّقْدِيسِ، وَاعْقِدْنَ بِالأَنَامِلِ؛ فَإِنَّهُنَّ مَسْؤولاتٌ مُسْتَنْطَقَاتٌ»[1]، وهم يَعُدُّونه على الحَصَى.

الأمر الثالث: أنَّهم حَدَّدوا له المكان، وهو المسجدُ.

إذًا؛ هناك خيرٌ، وهناك شَرٌّ.

فقال له: «أَفَلَا أمرتَهم أن يَعدُّوا سَيِّئاتِهم، وضَمِنْتَ لهم ألَّا يضيعَ مِنْ حَسناتِهِم؟!».

ثمَّ مَضَى ومَضَيْنا معه حتَّى أَتَى حلقةً من تِلْك الحِلَقِ، فوَقَفَ عَلَيهم، فقال: ما هذا الَّذي أَرَاكُمْ تَصْنَعُون؟

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٨٣) من حديث يُسَيْرَةَ رضي الله عنها، وحسنه الألباني في «صحيح الترمذي» (٢٨٣٥).

فالأمر ما زال مُشْكِلًا، والإشكالُ لا يَرتفع إلا بالسُّؤال؛ فإذا أتىٰ الجوابُ علىٰ السُّؤال، زال الإشكالُ واتَّضَحَ الحالُ، وأصبح ما كان خافيًا ظاهرًا.

فقالوا: يا أبا عبد الرَّحْمن، حصًىٰ نَعُدُّ به التَّكبيرَ، والتَّهليلَ، والتَّسبيحَ.

قال: فَعُدُّوا سَيِّئاتِكم، فأنا ضامنٌ أَلَّا يَضيعَ مِن حَسَناتِكم شيءٌ!

وهي نَفْسُ الكلمة الَّتي قالَها لأبي مُوسىٰ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فما قَال له كلمةً، وقال لهم كلمةً أُخرىٰ؛ فكانت لغةُ إِنْكاره واحدةً.

وهذا يدلُّ علىٰ الوضوح والقُوَّة في الحقِّ، فليس له في كلِّ مكان كلام، وإنما هو كلام واحد غرضُه إقَامة الحَقِّ.

هذا لأنه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كان نَاصحًا مُشْفقًا علىٰ الأُمَّة.

ثم قال لهم مَقُولته الجَليلة المَشهورة: «ويْحَكُم يا أُمَّةَ مُحمَّدٍ، ما أسرعَ هَلكتكم! هَؤُلَاءِ صَحَابةُ نَبيِّكم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَوافرون، وهذه ثيابُهُ لـم تَبْلَ، وآنيتُهُ لـم تُكْسَر، والَّذي نفسي بيدِهِ؛ إنَّكم لَعَلىٰ مِلَّةٍ هي أَهْدَىٰ من مِلَّةِ مُحمَّدٍ، أو مُفْتتحو باب ضلالةٍ».

فقالوا: والله يا أبا عبد الرَّحمن، ما أَرَدْنا إلَّا خيرًا.

قَالَ: «وكَـمْ مِنْ مُرِيدٍ للخير لَـنْ يُصِيبَه؛ إنَّ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدَّثنا: «أنَّ

قومًا يَقْرؤون القرآنَ لا يُجَاوِزُ تَرَاقيهم»[(١)]، وَايْم الله، ما أدري لعلَّ أَكْثَرهم مِنْكم»، ثمَّ تولَّىٰ عنهم.

فقال عمرو بن سَلَمَة: رأينا عَامَّة أُولَئِكَ الحِلَق يُطَاعِنُونَا يومَ النَّهْروان مع الخَوَارِج»[(٢)].

---

(١) التَّرَاقي: جمع تَرْقُوة، وهي العَظْمُ الذي بين ثُغْرَة النَّحْر والعَاتق، وهما تَرْقُوتان من الجَانبين. والمعنىٰ: أنَّ قِرَاءتهم لا يرفعها الله، ولا يقبلها؛ فكأنَّها لَن تَتجاوز حُلوقهم. وقيل: المعنىٰ: أنَّهم لا يَعملون بالقرآن، ولا يُثَابون علىٰ قراءته، فلا يَحصل لهم غير القراءة. انظر «النهاية في غريب الأثر»، (مادة «ترق»).

(٢) أخرجه الدارمي (٢١٠)، وصَحَّحه الألبانيُّ في «الصحيحة» (٢٠٠٥).

والخوارج: اسمٌ لطائفة من المُبتدعة ظَهَرت في خِلافة عَلِيٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه، وكان مُعظمهم في جيشِه؛ وفارقوه عندما اتفق مع معاوية رضي الله عنه علىٰ تحكيم أبي موسىٰ وعمرو ابن العاص رضي الله عنهما، فأنكرت الخوارجُ ذلك، وقالوا: حَكَّمْتُم الرِّجَال، لَا حُكْمَ إِلَّا لله، فبعثَ إليهم عَلِيٌّ رضي الله عنه ابنَ عبَّاس رضي الله عنهما فَنَاظَرَهم، فَرَجع منهم كثيرٌ، وانْحَاز الَّذِين أَصَرُّوا عَلىٰ مَذْهبهم إلىٰ مَوْضِعٍ يُقال له: النَّهْرَوان، فَكَفَّروا الحَكَمَين (أبا موسىٰ، وعَمْرًا رضي الله عنهما)، وعَلِيًّا ومُعاوية رضي الله عنهما، ومَنْ معهما، وأَغَارُوا علىٰ سَرْح المسلمين، وقتلوا عبد الله بن خَبَّاب مِن أصحاب عَلِيٍّ رضي الله عنه؛ فرأىٰ فيهم أميرُ المؤمنين عَلِيٌّ رضي الله عنه صِفَات المَارِقين الذين أَمَر النبيُّ ﷺ بِقِتَالهم، ورَغَّبَ فيه؛ كقوله ﷺ: «يَخْرُجُ فِيكُمْ قَوْمٌ تَحْقِرُونَ صَلاَتَكُمْ مَعَ صَلاَتِهِمْ، وَصِيَامَكُمْ مَعَ صِيَامِهِمْ، وَعَمَلَكُمْ مَعَ عَمَلِهِمْ، وَيَقْرَؤُونَ القُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ». [أخرجه البخاري (٥٠٥٨)، ومسلم (١٠٦٦)].

=

فانظروا -أيُّها الإِخْوة الكِرَام- إلىٰ فِعْلِهم، وانظروا إلىٰ لُغة إنكاره عليهم، فستجدونها لُغةً قويَّةً، وَاضِحَةً، صَرِيحة؛ فيها شَفَقةٌ عليهم، وحِرْصٌ علىٰ إِنْقَاذهم مِمَّا هُم فيه.

فقوله رضي الله عنه: «ما أَسْرَعَ هَلكتكم! هَؤُلَاءِ صَحَابةُ نَبيِّكم ﷺ مُتوافرون، وهذه ثِيابُهُ لـم تَبْلَ، وآنيتُهُ لـم تُكْسَر» - دليلٌ علىٰ قُرب عهد النُّبوَّة منهم.

=

وفي حديث آخر: «فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ؛ فَإِنَّ قَتْلَهُمْ أَجْرٌ لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» [أخرجه البخاري (٣٦١١)، ومسلم (١٠٦٦)]، فقاتلهم عَلِيٌّ رضي الله عنه بِمَن معه مِن الصَّحَابة، وأظْهَرَه اللهُ عليهم، وسُرَّ بذلك رضي الله عنه؛ لقول النبي ﷺ: «تَمْرُقُ مَارِقَةٌ عِنْدَ فُرْقَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، يَقْتُلُهَا أَوْلَىٰ الطَّائِفَتَيْنِ بِالْحَقِّ»، [أخرجه مسلم (١٠٦٤)].

وأصل مذهبهم: التكفير بالكبائر من الذنوب، وقد يَعدُّون ما ليس بذنبٍ ذنبًا؛ فيُكفِّرون به، كما قالوا في التحكيم بين عليٍّ ومعاوية رضي الله عنهما، فلذلك كفروا الحكَمَيْن رضي الله عنهما، وكفَّروا عليًّا ومعاوية رضي الله عنهما، ومَن معهما، ثم صاروا بعد ذلك فِرَقًا حسْبَ زَعَاماتهم.

ومن الأصول المَشْهورة عنهم: إِنْكَار السُّنَّة.

ومن فروع ذلك: إِنْكَارهم المَسْحَ علىٰ الخُفَّين، ورَجْمَ الزَّانِي المُحْصن.

والذي يظهر: أنَّه لا يُعَدُّ مِن الخوارج إلَّا مَن قال بهذين الأَصْلَين؛ وهما: التكفير بالذُّنُوب، وإنكار الاحتجاج والعمل بالسُّنَّة .

وأما تفاصيل الفَرْق بين فِرَقِهم؛ فيُرجع فيه إلىٰ كُتُب الفِرق؛ ككتاب «الملل والنِّحَل» للشَّهْرَستَاني، و«الفِصَل» لابن حَزم، والله أعلم. نقلًا بتصرف يسير من فتوىٰ للشيخ عبد الرحمن بن ناصر البرَّاك، بتاريخ ١٣/ ٥/ ١٤٢٨هـ.

أي: ما أسرعَ هَلكتكم! فلم يمض زمنٌ طَويلٌ علىٰ وفاة النبي ﷺ أدَّىٰ بكم إلىٰ نسيان سُنَّته.

ثم أكَّد عليهم بمسألة مهمة جدًّا، وهي قوله: «هَؤُلَاءِ صَحَابَةُ نَبِيِّكم ﷺ مُتَوافرون»، وهذا دليلٌ علىٰ أنَّ أعظم أسباب الانحراف عن الصَّواب: تركُ مَصْدَر التَّلقي، وهم أهلُ العلم.

ومَنْ أهلُ العلم في زمن الصَّحَابة إلَّا الصَّحَابة!

❊◇◇❊

من أعظم أسباب الانحراف: ترك التلقي عن أهل العلم

وإنَّ مِن أعظم أسبابِ الانحراف والانتماءات إلىٰ عقائد الخَوَارج وغيرهم: تركُ التَّلَقِّي عن أهلِ العلم.

فهل وجدتم أحدًا مِن الصَّحَابة مع أصحاب تلك الحِلَق؟

لا، بدليل أنَّ عبدَ الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «هَؤُلَاءِ صَحَابَةُ نَبِيِّكم ﷺ مُتَوافرون».

فكانوا جميعًا مِمَّن أَتَوْا بعدهم.

فبعد السُّؤال وانكشاف الحَال- حَكَم عليهم بمآل هذا الحال؛ فقال لهم: «والَّذِي نَفْسِي بيدِهِ؛ إنَّكم لَعَلىٰ مِلَّةٍ هي أَهْدَىٰ من مِلَّةِ مُحمَّدٍ»، وهذا لا يُمكن، «أو مُفْتتحو بَاب ضَلَالَةٍ».

فالجواب لا يخرج عن واحد من هذين الافتراضين.

والجواب جَزْمًا ويَقِينًا: أنَّهم لَيسوا عَلىٰ مِلَّةٍ هي أَهْدَىٰ من مِلَّةِ مُحمَّدٍ رسول الله ﷺ.

إذًا، هي الأُخرىٰ: (أنَّهم مُفتتحو بَاب ضَلَالة).

فانظر إلىٰ لغة التقييم وحال التصنيف في قوله: «مُفتتحو...»، ولم يقل: «فتحتم»؛ لأنَّ بِداية الشَّرِّ شَيء فيه شُبهة من الحق.

وقد قالَ أبو مُوسىٰ الأشعري رضي الله عنه لابن مسعود رضي الله عنه: «إنِّي رأيتُ في المسجدِ آنفًا أمرًا أنكرتُهُ، ولم أرَ -والحمدُ لله- إلَّا خيرًا».

فدليل أنَّه خيرٌ: أنَّه اجتماع علىٰ الذِّكر في بيت من بيوت الله، وقد قال النبي ﷺ: «مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ تَعَالَىٰ؛ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ المَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ»(١).

فانظر إلىٰ هذا الفضل العظيم علىٰ هذا العمل الجليل: «نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ المَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ»، ولكن بِشَرْطِ أَنْ يَجْتَمِعوا علىٰ وَفْق هَدْي النبي ﷺ.

أمَّا أهلُ البِدع حتَّىٰ وإن اجتمعوا في المَسَاجد، فلن تَحُفَّهم إلَّا

(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الشياطين؛ لأنَّ الملائكة لا تحفُّ أهلَ البِدع، وأهلَ الضَّلال والانحرافات، وإن اجتمعوا في بيوت الله.

فمن اجتمعوا لِذكر اللهِ وَفْق ما أتىٰ عن رسول الله ﷺ، فهم أهلٌ لحديث رسول الله ﷺ، ووعَدَ اللهُ بهذا الفضلَ العظيمَ.

وأمَّا مَن اجتمعوا علىٰ غَير هَدْي رسول الله ﷺ، وعَلىٰ وَفْق أهوائهم وبِدعهم، فهؤلاء تجتمع عليهم الشياطينُ.

والشياطينُ تَدخلُ المَساجد، والدليل: حديث النَّبي ﷺ: «**إِذَا نُودِي بالصَّلاة، أَدْبَرَ الشَّيْطَانُ وَلَهُ ضُرَاطٌ حَتَّىٰ لا يَسْمَعَ الأَذَانَ، فَإِذَا قُضِيَ الأَذَانُ أَقْبَلَ، فَإِذَا ثُوِّبَ بِهَا أَدْبَرَ**[١]**، فَإِذَا قُضِيَ التَّثْوِيبُ أَقْبَلَ حَتَّىٰ يَخْطِرَ بَيْنَ المَرْءِ وَنَفْسِهِ**[٢]**، يَقُولُ: اذْكُرْ كَذَا وكَذَا، مَا لَمْ يَكُنْ يَذْكُرُ، حَتَّىٰ يَظَلَّ الرَّجُلُ إِنْ**

(١) التثويب: إقامة الصلاة.

(٢) قال ابن بَطَّال في «شرح صحيح البخاري» (٢/ ٢٣٤): «اختلف العلماءُ في معنىٰ هروبه (أي: الشيطان) عند الأذان، ولا يهرب مِن الصَّلاة، وفيها قراءة القرآن.
فقال المُهَلَّب: إنَّما يَهرب -والله أعلم- مِن اتِّفَاق الكُلِّ علىٰ الإعلان بِشَهادة التوحيد وإقامة الشريعة، كما يَفعل يَوم عَرَفَة لِمَا يَرَىٰ مِن اتِّفَاق الكُلِّ علىٰ شَهَادة التوحيد لله تعالىٰ، وتَنَزُّل الرَّحْمة عليهم، ويَيْأس أن يَردَّهم عَمَّا أعلنوا به من ذلك، وأيْقن بالخَيْبَة بما تَفَضَّل اللهُ عليهم مِن ثواب ذلك، ويَذكر معصيةَ الله، ومُضادَّته أمرَه، فلم يَمْلك الحَدَث؛ لِمَا استولىٰ عليه من الخوف.
وقال غيرُه: إنَّما يَنفر عن التَّأْذين؛ لئلَّا يَشْهد لابن آدمَ بِشَهادة التَّوْحيد...».

يَدْرِي كَمْ صَلَّىٰ؟ فَإِذَا لَمْ يَدْرِ أَحَدُكُمْ كَمْ صَلَّىٰ، ثَلاَثًا أَوْ أَرْبَعًا، فَلْيَسْجُدْ سَجْدَتَيْنِ وَهُوَ جَالِسٌ»[١].

هذا بيانُ حال الشيطان، والذي فصَّل في ذلك هو رسولُ الله ﷺ، ومن هذا الحديث نستفيدُ أنَّ الشياطينَ تَدخل المساجدَ.

فهؤلاء قالَ لهم ابنُ مَسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ هذه المَقولة بعد هذا البيان وبعد هذا النصح.

ولكن قالَ أحدُهم (يَا أَبَا عبد الرَّحمن، مَا أَرَدْنا إِلَّا خَيْرًا»، وهذا فيه تلطفٌ؛ فهو يريدُ أن يَحتوي الموقف بعد هذه البيانات في حقِّهم: «إنَّكم لَعَلىٰ مِلَّةٍ هي أَهْدَىٰ من مِلَّةِ مُحمَّدٍ، أو مُفْتتحو باب ضلالةٍ) مِن صاحب رسول الله (ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ).

فقال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «وكَمْ مِنْ مُرِيدٍ للخير لَنْ يُصِيبَه؟!».

فكأنه يقول: قصدُك ونيَّتك لا علاقة لنا بها، ولكنَّ فِعْلَك مُحْدَثٌ، وما في القُلُوبِ لِعَلَّام الغُيُوبِ، ولَكِنَّ المُشاهَد حَقُّه يقرُّ، ومُنْكره يردُّ، وهُوَ أنكر هذا الظَّاهر، والقُلُوبُ لله عَزَّ وَجَلَّ.

ومن شُرُوطِ قَبُولِ العَمَل: الإخلاصُ والمتابعةُ.

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٣١)، ومسلم (٣٨٩) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وهُنَا وجدهم قد أَخَلُّوا بالمُتابَعةِ، وأمَّا الإخلاصُ فلَمْ يَتكلَّم بما في قُلُوبِهم، فما في القَلب لَا يَعْلمُهُ إلَّا الله تبارك وتعالىٰ، فأنكرَ عَلَيْهم هَذَا الفعلَ الظَّاهرَ، فقَالَ لهم: «كَمْ مِنْ مريدٍ للخير لَـنْ يُصِيبَه»؛ لمَّا رَأَىٰ أَنَّهم يُقَابِلونَ الحُجَّةَ بالشُّبْهةِ، فقَامَ عَلَيْهم، وَاحْتجَّ عَلَيْهم بهَذَا الجَوَابِ الَّذي اتَّخذَه علماءُ الإِسْلام إِلَىٰ يَوْم النَّاس هذا حُجَّةً علىٰ جَمِيع أَهْلِ البِدَعِ (خَوَارج، رَوَافض، مُرْجِئة، أَشَاعِرة، مُعْتَزِلة، مَاتُرِيديَّة، عُمُوم الفِرَقِ والضَّلالات حتَّىٰ الجماعات المعاصرة من التَّبْليغ والإِخْوانِ وغَيْرها).

فكلُّ مَنْ أَرادَ أَنْ يَحتجَّ علىٰ صحة فِعْلِه يقول: أُرِيدُ وجهَ الله!

فيُقَال له حينئذٍ: هل هذِهِ سُنَّةُ رَسُولِ الله ﷺ؟

متىٰ جئتَ بأَمْرك هذا؟

فتجد مَّن يقول لك: أَسَّسه فلانٌ قَبْل سبعين سنةً، وآخر يقول لك: فلانٌ جاء به قبل ثمانين سنةً.

وكلُّها مُحْدَثاتٌ؛ لأنه ليس في إِسْلامِنَا شيءٌ جديدٌ، لَيْس هناك صلاةٌ جديدةٌ، ولا وضوءٌ جديدٌ، ولا حجٌّ جديدٌ، ولا دعوةٌ جديدةٌ.

فمَنْ سَارَ علىٰ مِنْهاجِ النُّبوَّة فهَذَا مُتَّبِعٌ، ومَنْ خَالفَهُ فهو مبتدعٌ؛ كائنًا مَنْ كان في أيِّ عصرٍ من العُصُورِ.

لذا؛ قال لهم ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كَمْ من مُرِيدٍ للخَيْر لَنْ يُصِيبَه؟».

ثم قال مباشرة بعدها: «إنَّ رسولَ الله ﷺ حَدَّثنا: «**أَنَّ قومًا يَقْرؤون القرآنَ لا يُجَاوِزُ تَرَاقيهم**»، وَايْم الله، ما أدري لعلَّ أَكْثَرَهم مِنْكم».

فانْظُرْ بَعْد أَنْ أقامَ الحُجَّةَ ونَاقَشهم، وَاعْترضُوا بالشُّبْهةِ، وَجَاؤُوا بالأَهْواءِ- حَكَم عَلَيْهم فَصَنَّفهُمْ، ثمَّ ذَكَر من حالهم، فقال: «وَايْم الله، ما أدري لعلَّ أَكْثَرَهم مِنْكم».

وهذا الحكمُ لم يَأْتِ اعْتِباطًا أو تَخرُّصًا، إنَّما هذِهِ النَّتيجةُ لم تأتِ إلَّا بَعْد مُقدِّماتٍ، ونقاشٍ، وحوارٍ، وجواب، ومناظرة، مُعَاندةً مِنْهم، مُكَابرةً، ثمَّ بَيَّنَ الوَصْفَ والحالَ ومُطَابقته، بَلْ قَالَ بالمآلِ، قال: «وَايْم الله، ما أدري لعلَّ أَكْثَرَهم مِنْكم».

قال عَمْرُو بْنُ سَلَمَة: «رَأَيْنَا عَامَّةَ أُولَئِكَ الْحِلَقِ يُطَاعِنُونَا يَوْمَ النَّهْرَوَانِ مَعَ الْخَوَارِجِ».

أي: عامة الحِلَق الَّتي نَاقَشها ابْنُ مَسْعودٍ خرجت مع الخوارج، وقاتلوا أصحاب النبي ﷺ!

فدلَّ ذلك علىٰ أنَّهم لم يَقْبَلوا كلامَ العُلَماءِ؛ ومنهم ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أسباب احتواء هؤلاء الخوارج لبعض أبنائنا مستفادة من القصة

لَوْ تَأَمَّلنَا هذِهِ القِصَّةَ، وأَرَدْنا أَنْ نُنْزِلَها على زَمَانِنا، فماذا نستفيد منها؟

الفائدة الأولى: نجد أن ما وصلوا إليه هو بسبب اعْتِزَالهم لمَجَالِس العِلْمِ، وجَعْلهم مَجَالِسَ خَاصَّةً لهم.

فتجد أولئك المُنحرفين لا يَحْرِصُونَ علىٰ مَجَالِسِ العُلَماءِ، ولَوْ أتىٰ إليهم العُلَماءُ وطَلَبة العِلْمِ المَعْروفون بالتَّوْحيدِ والسُّنَّةِ والدَّعوةِ السَّلفيَّة الوَاضِحَةِ- تَرَكُوهم، وخَرَجوا إلىٰ الخَلَوات، والاسْتِراحَات، والمُخيَّمات، واعْتَزَلُوهم، ورُبَّما حذَّرُوا منهم، ومِن الاستماع إليهم، والحُضور عندهم.

ولَا تَزالُ مِنْهم باقيةٌ -لَا أَبْقىٰ اللهُ لها بقاءَ- يُحذِّرونَ من العِلْمِ، وأَهْلِ العِلْمِ، والدَّعوة السُّنِّيَّة، ويُحذِّرُونَ من أُصُولِ الدَّعوةِ السَّلفيَّة الَّتي قَامَتْ عَلَيها المملكةُ العربيَّة السعوديَّة.

هَذَا هو الواقِع، ولا بُدَّ من النُّصْحِ الصَّادقِ الواضحِ البَيِّنِ؛ لأنَّ هُنَاكَ مَنْ لا يريدُ هذِهِ الدعوة، ومَعَ ذَلِكَ يَدَّعونَ أنَّهم غَيُورون علىٰ الدِّينِ.

فإذَا وَجَدْتَ الرَّجلَ يُحذِّرُ مِنْ مَجَالِسِ العُلَماءِ، ويُحذِّرُ مِنْ مَجالِسِ طَلَبَةِ العِلْمِ الَّذين تَلقَّوْا العِلْمَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ العُلَماءِ، فَاعْلَمْ أنَّه مِنْ دُعَاةِ الخَوَارِجِ، لماذا؟ لأنه لَوْ لم يكن كَذَلِكَ ما فعل ذلك.

وإلَّا؛ لماذا تَعْزلُ الشباب عن مَجَالِسِ العِلْم؟! ولمَاذَا تَصرِفُهم عنها؟ ولمَاذَا تَمْنعُهُمْ منها؟!

فهذا كاعْتِزَال هَؤُلَاءِ مَجالِسَ الصَّحابةِ، فهَل يُتْركُ مِثْلُ ابْنِ مَسْعودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؟ ويَذْهَبُونَ ليَعُدُّوا الحَصَىٰ في المَسْجِدِ!

وهل يُترك مِثْلُ أبي مُوسَىٰ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ ليَجْتمعُوا علىٰ حَصًىٰ يَعدُّونه!

والزُّهديَّات والتَّطوُّعات من الأَسْبابِ الَّتي يغترُّ بها الكثيرُ، فيَغْترُّون بمَنْ ظَاهِرُهُ العبادةُ، مع أنَّ غالبَ الضُّلَّالِ في جَانِبِ العبادةِ أقوياءُ؛ خَاصَّةً الخوارجُ، كَمَا وَصَفهُمُ النَّبيُّ ﷺ بقوله: «**تَحْقِرُون صَلَاتكم إِلَىٰ صَلَاتِهم، وصِيَامَكم إلىٰ صِيامِهم**»[1].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٨٨٠)، ومسلم (١٧٦٥) من حديث أبي سعيد الخُدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

فإذَا أَردْنَا أَنْ نَضربَ المَثَلَ بالصَّلاةِ الَّتي فيها خُشُوعٌ، وفيها شيءٌ مِنَ السَّكينةِ بَعْد رَسُولِ الله ﷺ، فمَنْ لنا أن نصفَ حاله؟

أَلَيْسوا هُم الصَّحَابة، ومع ذلك يقول النَّبيُّ ﷺ للصَّحَابة: «**تحْقُرونَ صَلاتَكُمْ إِلَىٰ صَلاتِهم**».

يَعْني: تَرَوْن صلاتكم ليست بشيءٍ مقارنةً بصَلَاتِهم؛ لطولها، وكثرتها، وخُشُوعها.

ولِذَلِكَ، لمَّا ذهبَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما لمُناظَرةِ الخَوَارجِ في حَرُورَاء، قال: «أَتَيْتُ قَوْمًا لَمْ أَرَ قَوْمًا قَطُّ أَشَدَّ اجْتِهَادًا مِنْهُمْ، مُسَهَّمَةٌ وُجُوهُهُمْ مِنَ السَّهَرِ»(١).

فلا تغترَّ بصَاحِبِ كَثْرةِ العِبَادةِ، ولا عِبْرةَ بها، وَلَا بالبُكَاءِ، ما أكثرَ ما يَبْكي الرَّافضةُ! يَضْربُونَ صُدُورَهم، ويَنُوحُونَ، لا عِبْرةَ بكَثْرةِ البُكَاءِ، والتَّزهُّدِ، والتَّعبُّدِ.

فلا عبرة بهذا أبدًا مَا لَمْ يَكُنْ عَلَىٰ التَّوْحيدِ والسُّنَّةِ.

إذًا، العبرةُ بسَلَامةِ الاعْتِقادِ، والمَنْهجِ، والطَّريقِ، لا بكَثْرةِ التَّعبُّدِ.

---

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ١٦٤) (٢٦٥٦)، والبيهقي في «السنن» (١/ ٣٠٩) (١٦٧٤٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

ولِذَلِكَ؛ اغترَّ المَنصورُ بِعَمْرو بن عُبيد لِمَا رأىٰ من زُهْدِهِ وتَوُاضعِهِ - وهُوَ داعيةٌ من دُعَاةِ الضَّلالِ، وكان آخر أَمْرِهِ أن ادَّعَىٰ النُّبوَّةَ، بل ادَّعَىٰ الإلهيَّةَ- فقال فيه:

كُلُّكُـــــمْ يَمْـــــشِي رُوَيْـــــدا

كُلُّكُـــــمْ يَطْلُـــــبُ صَـــــيْدا

غيـــــر عَمْـــــرو بـــــن عُبَيـــــد[1]

فالنَّاسُ تغترُّ بالمَظَاهِر، والعِبْرةُ في سلامةِ الاعْتِقَادِ، ولِما في هَذِهِ المَظَاهِرِ الجَوْفاءِ فِي أَشْكالِها وفِي تَعبُّداتِها، ما لا تَكُنْ علىٰ اسْتِقَامةٍ، وتَوْحيدٍ، وسُنَّةٍ.

الفائدة الثانية: ممَّا نَسْتفيدُ مِنْ هذِهِ الحادثةِ: أنَّ صاحبَ البَاطِلِ عِنْدَهُ شبهةٌ من حقٍّ، فهُؤلاء القوم قد اسْتَنَدُوا علىٰ دليلٍ صحيحٍ، لكن مع صحته لم يصحَّ استدلالهم به.

فهناك فَرْقٌ بَيْنَ صِحَّةِ الدَّليل، وبين صِحَّةِ الاسْتِدْلالِ به.

---

(١) قال الذهبيُّ رَحِمَهُ اللهُ في «سير أعلام النبلاء» (٦/ ١٠٥): «وقد كان المنصورُ يُعَظِّم ابنَ عُبَيْدٍ»، ثم ذكر مَقالته هذه، ثم قال: «اغْتَرَّ بزهده وإِخلَاصه، وأَغْفَل بِدعته».

وأضربُ مثالًا مُعَاصرًا ليتضح المُراد:

في هذه الأيام نرىٰ أصحابَ الفَوْضَىٰ والمُظَاهرات يَقُولُون: المُظَاهراتُ سُنَّةٌ نبويَّةٌ!

فإذا قيل لهم: ما دَلِيلُكُمْ علىٰ ذلك؟

قالوا: النَّبيُّ ﷺ عِنْدما صَعِدَ علىٰ الصَّفَا لينَادي علىٰ بُطُونَ قُرَيش ليَدْعُوهُمْ إِلَىٰ الإِسْلامِ(١).

قلنا لهم: هَذَا الدَّليلُ صحيحٌ، لكن: هَلْ هَذَا الاستدلالُ صحيحٌ؟

فلا يُمْكِنُ أَنْ يَدعو النَّبيُّ ﷺ إِلَىٰ الفَوْضَىٰ، فهَلْ سارَ بهم مسيرةً؟!

إنَّما لمَّا اجْتَمعَ القَوْمُ، قال: «إِنِّي نَذِيرٌ لكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ».

---

(١) أخرج البخاري في (٤٧٧٠) عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: «لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء:٢١٤]، صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَىٰ الصَّفَا، فَجَعَلَ يُنَادِي: «يَا بَنِي فِهْرٍ، يَا بَنِي عَدِيٍّ» - لِبُطُونِ قُرَيْشٍ - حَتَّىٰ اجْتَمَعُوا، فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ أَرْسَلَ رَسُولًا لِيَنْظُرَ مَا هُوَ! فَجَاءَ أَبُو لَهَبٍ وَقُرَيْشٌ، فَقَالَ: «أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟». قَالُوا: نَعَمْ، مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا. قَالَ: «فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ»، فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ سَائِرَ اليَوْمِ، أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا؟ فَنَزَلَتْ: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾﴾ [المسد:١، ٢]».

وكذلك كلُّ مَنْ حَوْلَه لَيْسُوا مَعَه.

أمَّا أَصْحابُ المُظَاهراتِ فيُرَدِّدونَ هُتَافاتٍ مُختلفةً.

والنبيُّ ﷺ يَدْعُوهم لَمَّا خالَفوه، بَلْ سَبُّوه وطَعَنُوا فيه: فَقَالَ له أَبُو لَهَبٍ: «تَبًّا لَكَ سائرَ اليوم، أَلِهَذَا دَعَوْتَنا؟».

فكَانَ الجوابُ عليه: ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴾ [المسد:١-٣].

فكَيْفَ يَجْتَرِؤ هؤلاء ويُفسِّرونَ السُّنَّةَ بمَحْضِ أَهْوائِهم؟!

إذًا هناك فَرقٌ كبيرٌ بَيْنَ صِحَّةِ الدَّليلِ، وصِحَّةِ الاسْتِدْلالِ به.

وَلِذَلِكَ دائمًا يُقَالُ: الدَّعْوةُ السَّلفيَّةُ واضحةٌ، هِيَ علىٰ الكِتَابِ والسُّنَّةِ، وفَهْم الصَّحَابةِ، هَذَا مَعْنىٰ الفَهْم.

لَكِنْ مَنْ فَهِمَ بغَيْر فَهْمِ الصَّحابةِ، فقد أَتَىٰ بمَعْنىٰ جديدٍ غير معروف في الإِسْلامِ.

فهَلْ خُبِّئ لَه هذا المَعْنىٰ حتَّىٰ أتىٰ بَعْد خَمْسةَ عَشرَ قرنًا، ليفسِّرَ الإسلامَ بهذا التفسير الجديد، وليفسِّر الآيات والأحاديثَ النَّبويَّةَ بتفسيراتٍ جديدةٍ؟!

فهَؤُلَاءِ القوم الذين فَسَّروا الأمر بالذِّكْرَ علىٰ أنَّه اجتماعٌ عليه، وعَدُّه بالحَصَىٰ، مِنْ أَيْنَ لَهُمْ هَذَا الفهم؟! ومَنْ أَتَىٰ لهم بهذِهِ الطَّريقة؟!

ولذَلِكَ، الَّذينَ صَحِبُوا النَّبيَّ ﷺ أَنْكَروا علىٰ هَؤُلاءِ هذِهِ الطَّريقةَ.

فقالوا: هذِهِ الطَّريقةُ غير صحيحةٍ، ومَآلُ أصحابها أَنَّهم مُفْتتِحُو بابَ ضلالةٍ.

فما خَرجَتْ فرقةٌ في تَاريخِ الإِسْلامِ وابتعدت عنه إِلَىٰ يومِنا هذا ورَجَعتْ إليه.

وإِنْ رَجَع قَادتُها بَقِيَتْ هِيَ علىٰ حالها؛ كَالأَشَاعرةِ، وغَيْرِها.

فما خَرجَتْ فرقةٌ، ونَزعَتْ، ومَالَتْ عن الجادَّةِ إِلَّا وَلَها أتباعٌ وطوائفُ.

فَاحْذَرْ -أخي- أن تكونَ من أَتْباعِ الطَّوائفِ والفِرَقِ.

واحْذَر مِن التَّجمُّعاتِ وَالْجمَاعاتِ؛ فَدِينُنَا دينٌ واضحٌ، والنَّبيُّ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ أَرادَ بُحْبوحةَ الجنَّةِ؛ فَعَليه بالجماعةِ**»(١).

---

(١) أخرجه الترمذي (٢١٦٥)، من حديث عمر رضي الله عنه، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٤٣٠).

والنَّبيُّ ﷺ لمَّا ذُكِرَتْ له الفِرَقُ، قال لِحُذيفة بن اليَمَان رضي الله عنه: «**الْزَمْ جماعةَ المُسْلِمينَ وإِمَامَهم**»[(١)].

فالنبي ﷺ قال: «**جماعة**»: ولم يقل: جَماعَات.

فنَحْنُ أَهْلُ السُّنَّةِ والجماعةِ، ولسنا بأَهْلِ السُّنَّةِ والجماعاتِ!

الفائدة الثالثة: أيضًا في هذِهِ القِصَّةِ نجد أنَّ المُخَالِفينَ للحقِّ خاصَّةً من أَمْثالِ هَؤُلاءِ الخوارج- هُمْ أَصْحابُ جَدَلٍ ومُعَارضةٍ للنُّصُوصِ الشَّرعيَّةِ بالحُججِ العَقْليَّةِ، فلمَّا أَقامَ ابْنُ مَسْعودٍ عَلَيْهم الحُجَّةَ -وقولُهُ مُعْتَبرٌ- قالوا له: «ما أَرَدْنا إلَّا خيرًا!».

وهَذَا الخيرُ مِنْ أَيْنَ؟! هل خيرٌ ادُّخِر لَهمْ من دونِ النبي ﷺ وصَحَابته رضي الله عنهم؟!

لَوْ كانَ خَيْرًا لسَبَقنا إِلَيه رسولُ الله ﷺ وصَحَابتُهُ الكرام رضي الله عليهم.

فإذا قال هَؤُلاءِ: نُرِيدُ الخيرَ، نريدُ نُصْرةَ الدِّينِ!

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٠٦)، ومسلم (١٨٤٧) من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، وفيه: «فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلاَ إِمَامٌ؟ قَالَ: «**فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّىٰ يُدْرِكَكَ المَوْتُ، وَأَنْتَ عَلَىٰ ذَلِكَ**».

نقول لهم: أَنْتُمْ هَدَمْتُمُ الدِّينَ، أَنْتُمْ خَذَلْتُمُ الدِّينَ، أَنْتُمْ جَرَّأْتُمْ الكَافِرِينَ عَلَىٰ بِلَادِ الإِسْلامِ حَتَّىٰ اسْتَحلُّوا حُرْمتَه، ودِمَاءَهُ، وأَهْلَه، وأَمْوالَه، واقْتِصَادَه، وخَيْراتِهِ، أَنْتُمُ السَّببُ في هذا.

فالخَوَارِجُ مَوْجُودُونَ فِي عَصْرنا، ولهم رُمُوزٌ، ولَهُمْ أسماءٌ كثيرةٌ -لَا كَثَّرهُمُ اللهُ- مِنْها: جماعة الإخوان المسلمين، ومِنْها أسامة بن لادن دَاعِي الضَّلال الَّذي يقول: «عَلَيْكمْ بِآبَارِ النَّفْطِ في المَمْلكةِ العَربيَّةِ السُّعوديَّة»، وهُوَ الَّذي يَدْعو الشَّبابَ للتَّفْجيرِ.

ومِنْ رُؤوسِهِمْ: سعد الفَقِيه في بريطانيا، هذَا المُجْرِمُ الخبيثُ دَاعِي الإفساد الَّذي يَنْسبُ نَفْسَه للإِصْلاحِ.

فمَنْ تَجِدُهُ يضيقُ صدره إِذَا سَمِعَ انْتِقادَ هذِهِ الأسماءِ، فَاعْلَمْ أَنَّ فيه لوثةَ الخَوَارِجِ.

ومن يَحْتَرِمُ مِثْلَ هذِهِ الأَسْماءَ، فهو لا يَعْرفُ لبلدِهِ، ولَا لوُلَاةِ أَمْرِهِ، ولَا لِعُلَمائِهِ قَدْرَهم، ولا لجَماعَةِ المُسْلِمينَ في هذَا البَلَدِ مَنْزلتَهم، فهُوَ يُنَاصِرُ مُنَاهِضَهم، ومَعْروفٌ ما هُوَ عَلَيه، وما آلَ الأمرُ إِلَيه.

فإِلَىٰ مَتَىٰ والنَّاسُ تُثْنِي علىٰ قَاتِلِيها والعَابِثِينَ بأَمْنِها واقْتِصَادِها؟!

إِلَىٰ مَتَىٰ يُصْبِح هؤلاء كالرُّمُوزِ؟!

إنَّ الدُّعاةَ الَّذين كَانُوا يَدْعون إلىٰ مِثْل هذِهِ الأَفْكارِ بالأَمْسِ القريبِ أَعْلَنوا عَوْدَهم، وعودٌ حميدٌ خيرٌ لأَنْفُسِهم، ولَوْ بَقَوْا عَلَىٰ شَرِّهم لَيْس لَهُم إلَّا شَرْعُ الله.

فمَنْ عادَ- عادَ إلىٰ الحقِّ، ومَنْ بَقِيَ عَلَىٰ ضَلالِهِ- يُحذَّرُ مِنْه، ومِنْ أمثالِهِ.

ولِذَلِكَ -ولله الحمدُ- انْحَصَر في كَثِيرٍ من شَبَابِنا الاسْتِماعُ إلىٰ مِثْل هذِهِ الدَّعَاوَىٰ؛ لأَنَّها تَعرَّتْ.

وقد كان بعض هؤلاء يقولون لدُعَاةِ السُّنَّةِ: أَنْتم لا تُحذِّرُونَ من الصُّوفيَّة، وأَنْتُمْ لَا تَتكلَّمونَ عَلَىٰ الأَشَاعرةِ، فدَارَ الزَّمانُ، فإِذَا بِهِم في أَحْضانِ الصُّوفيَّة وبُيُوتهم، بَلْ في مَجَالِسِهم، ودَارَ الزَّمانُ فإِذَا بهم يَأْتُونَ رُؤوسَ الرَّافضةِ في بُيُوتِهم، ودَارَ الزَّمانُ فإِذَا بهم يُثْنُونَ علَىٰ الَّذينَ كانوا يَقُولُونَ بالأَمْسِ: إنَّهم عَلْمانيُّونَ، ولِيبرَاليُّونَ، فإِذَا بِهِمْ اليوم يَضَعون أَيْديهم في أَيْدِيهم.

فكُونُوا -أيها الشَّبَاب- علىٰ حَذَرٍ، ففَرْقٌ بَيْنَ مَنْ يَدْعُو لدِين الله، واتِّباع مَا كان عَلَيه مُحمَّدٌ رسول الله ﷺ، وَصَحابتُهُ رضي الله عنهم، وبين مَنْ لَهُ مَقَاصدُ ومَآلَاتُ.

إِنَّ أَصْحابَ مِثْل هَذِهِ الأَفْكارِ لَا يُرِيدُونَ خيرًا للمُجْتَمعِ المُسْلِمِ، ولَيْسَ لهم إِلَّا دَعَاوىٰ التَّلْبِيسِ، والإِضْلالِ، والتَّغْرِيبِ.

وهَذَا أَصْبحَ مَعْروفًا للعَامِّيِّ فَضْلًا عَنِ طالب العِلم الذَّكي الَّذِي يُدْرِكُ الأُمُورَ من النَّظَرِ إِلَيْها في مُقدِّماتِها.

ولكن سَبَب احْتِوَاءِ هَذَا الفِكْر لبَعْضِ أَبْنائِنا أَنَّهم سُذَّجٌ، وللأَسَفِ لَا يُدْرِكُونَ المَآلَاتِ، فيَخْدَعونهم بِاسْمِ العَوَاطِفِ الدِّينِيَّةِ، وَبِاسْمِ النَّخْوةِ، وبِاسْمِ حُبِّ الإِسْلامِ.

وهَؤُلَاءِ الأبناءُ يُشَاهِدُونَ ما يحصلُ للمُسْلِمينَ في العَالَمِ الإسلاميِّ؛ فهَذَا يَقْتُل، وهَذَا يُفَجِّر، وهَذَا يَعبثُ بأَمْنِهِ، وهَذَا مُحْتَلٌّ لبلدِهِ.

فتراه يَغْتَاظُ لذلك، وتأخذه الحَمِيَّة، ثمَّ يَأْتي مَنْ يقول له: هَؤُلَاءِ فَعَلُوا، وفَعَلُوا، ويَدعوه إلىٰ التفجير والتخريب.

وأقول له: لِمَاذَا -يا بني- تُفجِّر في بَلَدِكَ؟

لمَاذَا تَعْبثُ بأمن بَلَدِكَ؟

أَهَذَا وَفَاءٌ لبلدك الذي نَشَأتَ فِيهِ، وتَعلَّمتَ فِيهِ، وتَربَّيتَ فِيهِ، وتعلَّمَت عقيدتك وأصولَ دِينك فيه.

أفيكونُ الجزاءُ هَذِهِ النِّيَّةَ الخبيثةَ، وهَذه الطَّويَّة الرَّديَّة الَّتي من نَتائِجها

أَنْ يُعبثَ بأَمْنِهِ، وأَنْ يُعْبثَ باقْتِصَادِهِ، وأَنْ يُعْبثَ بمُقدَّراتِهِ، وأَنْ تُفرَّقَ جَماعَتَه، وأَنْ يُشَاعَ فِيهِ الخوفُ بَدَلَ الأَمْنِ، والتَّفرُّقُ بَعْدَ الاجْتِمَاعِ.

هَكَذا أَصْبحَ مِثْلُ هَؤُلَاءِ أُلْعوبةً في يَدِ مَنْ أَرَادَهُمْ لأَهْدافٍ خبيثةٍ بَعِيدةِ المَدَىٰ.

ووأسفاه! ثم وأسفاه! أَنْ يُصْبِحَ شَبابُنا بهَذَا التَّفْكيرِ، وبهَذَا التَّقْديرِ لمَآلَاتِ الأُمُورِ، ثمَّ تُستغلُّ العَوَاطِفُ، وتُصْبِحُ عَوَاصِفَ ضارَّةً مُضرَّةً، فهَكَذا يُحتوُونَ، وهَكَذا يُرمىٰ بهم.

فأَيْنَ الَّذينَ أَنْشَؤوهم؟ وأَيْن الَّذين كَوَّنُوهُمْ؟ وأَيْنَ الَّذينَ هَيَّؤوهم؟ وأَيْنَ الَّذين ملأوا نُفُوسَهم بالحقدِ علىٰ ما هُمْ فيه من أَمْنٍ وأَمَانٍ، فقَلَّبُوا لهم الأُمُورَ، حتىٰ كَفَّروا العُلَماءَ ووُلَاةَ الأَمْر، ولَا نَزالُ نَسْمَعُ عن بعضِ هَذِهِ الأشياءِ، ولَكنَّها تَوارَتْ حتَّىٰ أَصْبحَتْ عَلَىٰ مُسْتوىٰ خَفِيٍّ يَلْتفتُ صاحبُهُ قَبْل أَنْ يَتحدَّثَ به، والحَمْدُ لله علىٰ أَنْ أَخْزاهُمُ وهَذَا مِنْ فَضْلِ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ومِنَّتِه.

فإِذَا رَأَيْتَ أَهْلَ البَاطِلِ قَدْ خُزُوا، وخُبِّئَتْ فِتْنتُهُمْ، فَاشْكُرِ اللهَ؛ فأَبُو بكرٍ الصِّدِّيق لمَّا أتاه خبرُ قَتْلِ مُسَيْلمةَ- سَجَد لله شكرًا[1].

(١) أخرجه البيهقي في «معرفة السنن والآثار» (٤/ ٢٤٤) (١٤٧٤).

وعليٌّ بن أبي طالبٍ لمَّا أتاهُ خبرُ قَتْلِ ذِي الثُّدَيَّة، سَجَد لله شُكْرًا[(١)].

وهَكَذا عِنْدَما يَأْتِينا خَبرُ هَلَاكِ رُؤُوسِ الضَّلالِ- نَشْكُرُ الله عَزَّوَجَلَّ، ولَوْ سَجَدتَ فَهِيَ سُنَّةٌ للخُلَفاءِ الرَّاشِدينَ، وسُنَّتهُمْ مَأْمورٌ بِاقْتِفَائِها واتِّبَاعِهَا.

الفائدة الرابعة: مِنْ هَذِهِ الحَادِثَةِ نَسْتفيدُ أنَّ أَتْبَاعَ الخَوَارجِ لا تُرْضِيهم الأَدلَّةُ مهما كَانَتْ مَنْزلةُ قَائِلِيها؛ فمَنْ بَعْد ابْنِ مَسْعودٍ تُقْبَل حُجَّتُهُ؟ ومَنْ بَعْد ابْنِ مَسْعودٍ عَالِمِ زَمَانِهِ يَأْتِي ويُقِيمُ الحُجَّةَ علىٰ هَؤُلَاءِ؟

إن ابْنَ مَسْعودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لم يقبلوا مِنْهُ، ورَسُولُ الله مُقدَّمُهُمْ اتَّهمَه أوَّلُهم في نِيَّتِهِ، حيث اتَّهَمَ رَسُولَ الله ﷺ في نِيَّتِهِ في تَوْزِيعِ المَالِ[(٢)].

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٦/ ٤٥٠) (٣٢٨٥٢).

(٢) وهذا الذي اتهم النبي ﷺ بالظلم في توزيع العطية؛ كما أخرج ذلك البخاري (٤٦٦٧) عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: «بُعِثَ إلىٰ النبيِّ ﷺ بشَيءٍ، فَقَسَمَه بين أربعة، وقال: «أَتَأَلَّفُهُمْ؟». فقال رجلٌ: مَا عَدَلْتَ! فقال: «يَخْرُجِ مِن ضِئْضِيءِ هَذَا قَوْمٌ يَمْرُقون مِن الدِّين»».

وعند مسلم (١٠٦٤): «فَجَاءَ رَجُلٌ كَثُّ اللِّحْيَةِ، مُشْرِفُ الْوَجْنَتَيْنِ، غَائِرُ الْعَيْنَيْنِ، نَاتِئُ الْجَبِينِ، مَحْلُوقُ الرَّأْسِ، فَقَالَ: اتَّقِ اللهَ يَا مُحَمَّدُ. قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَمَنْ يُطِعِ اللهَ إِنْ عَصَيْتُهُ؟! أَيَأْمَنُنِي عَلَىٰ أَهْلِ الأَرْضِ وَلا تَأْمَنُونِي؟!». قَالَ: ثُمَّ أَدْبَرَ الرَّجُلُ، فَاسْتَأْذَنَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ فِي قَتْلِهِ -يُرَوْنَ أَنَّهُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ- فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا قَوْمًا يَقْرَؤونَ الْقُرْآنَ لا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَقْتُلُونَ أَهْلَ الإِسْلَامِ، وَيَدَعُونَ أَهْلَ الأَوْثَانِ، يَمْرُقُونَ مِنَ الإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ».

فهَؤُلَاءِ لا يَتَّبعُونَ الهُدَىٰ، وإنَّما يَتَّبعُونَ الهَوَىٰ؛ قال الله ﷻ: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُم﴾ [محمد:١٤].

فهُوَ يَرَىٰ أَنَّه عَلَىٰ الحقِّ، ومَهْما أُقِيمَتْ عَلَيهِ الأَدِلَّةُ الَّتي تُبيِّن ضَلَالَه فَلَا يَرَىٰ ضَلَالَه إلَّا هُدًىٰ، ولَا يَرَىٰ انْحِرَافَه إلَّا اسْتِقَامةً، ولِذَلِكَ قَالَ اللهُ -تَبارَكَ وتَعالَىٰ- فِي مِثْلِ هؤُلَاءِ: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف:١٠٣، ١٠٤].

الفائدة الخامسة: مِنْ هَذِهِ القِصَّةِ -أيضًا- نَسْتفيدُ: أنَّ الحُكْمَ عَلَىٰ ظَاهِرِ الأَشْياءِ لَا غَضَاضةَ فِيهِ، ولِذَلِكَ قَالَ: «حَدَّثَنَا رسولُ الله ﷺ عَنْ أَقْوامٍ تَحْقِرُونَ...»، ثمَّ قَالَ: «وَايْم الله، ما أدري لعلَّ أَكْثَرهم مِنكم».

وقد أخبر الرَّاوي (عمرو بن سَلَمَة) في آخِرِ الرِّوايَةِ عَنْ وَاقِعٍ مُعَاصِرٍ فِي زَمَانِهِ يُوَافِقُ حُكْمَ عبدِ الله بْنِ مَسْعودٍ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ الشِّرذمَةِ في زَمَانِهم، فقال: «ولقد رأينا عَامَّة أُولَئِكَ الحِلَق يُطَاعِنُونَا يومَ النَّهْروان مع الخَوَارِج».

فالحُكْم أنَّ هَؤُلاء مِنَ الخَوَارِجِ، وهَذِهِ نَتِيجَتُهُمْ، وهَذَا مَآلُهُمْ.

إذًا، لَا تَسْتَهِنْ بِصِغَارِ البِدَعِ، فإِنَّ صِغَارَ البِدَعِ تَقُودُ إِلَىٰ كِبَارِهَا.

فالقَوْمُ «مُفْتَتِحُو بابَ ضلالةٍ»، وَانْظُرْ هَذَا الوَصْفَ البَلِيغَ، وهي كَلِمَةٌ في غَايَةِ الأَدَبِ والبلاغة.

والبَلَاغةُ: هِي الكلامُ قويُّ المَعْنىٰ، الذي فِيهِ وَجَازةٌ في اللَّفْظِ، وَجَزالةٌ في الأسلوب.

ولِذَلِكَ قَالَ: «مُفْتَتحُو»، ولَكِنْ بَعْدَها صاروا يُقَاتِلُونَ الَّذين دَعَوْهُمْ للإسْلامِ.

الله أكبر! يُقَاتِلُونَ الَّذين دَعَوْهُمْ للإِسْلامِ، ويَرَوْنَ أَنْفُسَهمْ أَنَّهم وحدهم عَلَىٰ الإِسْلامِ، وغيرهم كفار.

حتَّىٰ جاءَ حَافِظٌ للقُرْآنِ منهم، وهو عبد الرحمن بن مُلجم الشَّقِي، وضَرَبَ عليَّ بن أبي طالبٍ علىٰ رَأْسِهِ(١).

وعَبْد الرَّحْمن بن ملجم هذا مَعَه تَزْكيةٌ خَطِّيَّةٌ من أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مَكْتوبٌ فِيهَا: «أن قرِّب دار «عبد الرحمن بن مُلجم» من المسجد؛ ليعلِّم الناس القرآن والفقه»(٢).

---

(١) ذكر ابن كثير في «البداية والنهاية» (٧/ ٣٦٢) أنه: «لمَّا خَرَج (أي: عَلِيٌّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ إلىٰ صلاة الفَجر) جعل يُنهض النَّاسَ مِن النَّوم إلىٰ الصَّلاة، ويقول: الصَّلاةَ، الصَّلَاةَ! ضربه ابنُ ملجم بالسيف علىٰ قَرْنه، فَسَال دمُه علىٰ لحيته رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، ولمَّا ضربه ابنُ مُلجم، قال: «لا حُكمَ إِلَّا لله، ليس لك يا عليُّ، ولا لأصحابك»، وجعل يتلو قوله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ۝٢٠٧﴾ [البقرة:٢٠٧]. انتهىٰ باختصار.

(٢) ذكر هذه القصةَ ابنُ يونس في «تاريخ مصر» حيث قال (١/ ٢١٤): «عبد الرحمن بن مُلجم

فلا يَغُرنَّك -أُخَي- أنَّ هَذَا مِنْ طُلَّابِ الشَّيخِ فُلَانٍ، وهُوَ عَلَىٰ طَرِيقَةِ الشَّيخِ فُلَانٍ، أو مَعَه تزكية من فُلان أو فلان!

فالصَّحَابة لم يعْتَبروا بخِطَابِ عُمَر لعَمْرو بن العاص رضي الله عنهما؛ لأنَّ التَّزكِيَاتِ لَيْسَتْ مُستمرَّةً إِلَىٰ الوَفَاةِ.

نسأل اللهَ أن يُثبِّتُ قُلُوبَنا وإيَّاكم؛ لأن القُلوبَ سريعةُ التَّقلُّب، ولِذَلِكَ كَانَ دُعَاءُ النَّبيِّ ﷺ: «**اللَّهُمَّ يا مُقلِّبَ القُلُوبِ؛ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَىٰ دِينِكَ**»[1].

فإذا جاء مَنْ قال: قد أَثْنَىٰ الشيخُ ابنُ عُثَيْمينَ رحمه الله علىٰ أُسَامةَ بن لادن!

=

المرادي التّدؤلِي: أحد بني تدؤل، وكان فارسهم بمصر، شَهِد فَتْح مِصْر، واخْتَطَّ بِهَا مع الأشراف، وكان مِمَّن قَرَأَ القرآنَ والفِقْه.
أدرك الجَاهِليَّة، وهاجر في خِلافة عمر، وقرأ علىٰ معاذ بن جبل، وكان مِن العُبَّاد.
ويُقال: هو الذي أرسل صَبِيغًا التَّميمي إلىٰ عُمر، فسأله عما سَأَله من مُعجم القرآن.
وقِيل: إنَّ عُمر كَتَبَ إلىٰ عُمْرو: أن قَرِّب دَارَ «عبد الرحمن بن مُلجم» من المَسجد؛ ليُعَلِّم النَّاسَ القرآنَ والفقه. فوسَّع له مكان داره، وكانت إلىٰ جانب دار «عبد الرَّحمن بن عديس البلوي»، (يعني: أحد مَن أعان علىٰ قتل عثمان».
ونقل هذا عن ابنِ يونس الذهبيُّ في «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٥٣٩)، وكذا الحافظُ ابنُ حَجَر في «لسان الميزان».

(١) أخرجه الترمذي (٢١٤٠)، من حديث أنس رضي الله عنه، وصححه الألباني في «المشاكة» (١٠٢).

نقول: قد كان ذَلِكَ في وَقْتٍ مُعَيَّن، لكنَّ الشَّيخَ ابْنَ باز رَحِمَهُ اللَّهُ قَبْل أَنْ يموتَ حَذَّرَ منه في عام ١٤٠٧هـ في «مجموع الفتاوىٰ»، (المُجلَّد التَّاسع) (ص١٠٠)، فحذَّرُ مِنْهُ بِاسْمِهِ، وَحذر من سعد الفَقِيهِ باسمه، وذكر أَنَّهم ضُلَّالٌ، حيث قال رَحِمَهُ اللَّهُ: « أمَّا مَا يقومُ به الآن مُحَمَّد المسعري وسَعْدٌ الفَقيه وأشباههما من نَاشِري الدَّعَوات الفَاسدة الضَّالة، فهذا بلا شَكٍّ شَرٌّ عظيم، وهم دُعَاة شَرٍّ عَظيم، وفَسَادٍ كبير.

والواجبُ: الحَذَرُ مِن نَشَرَاتهم، والقَضَاء عليها، وإِتْلَافها، وعدم التَّعَاون معهم في أيِّ شيء يَدعو إلىٰ الفَسَاد والشَّرِّ والباطل والفتن؛ لأنَّ اللهَ أَمَر بالتعاون علىٰ البِرِّ والتقوىٰ، لا بالتعاون علىٰ الفَسَاد والشَّرِّ، ونَشْر الكذب، ونشر الدعوات الباطلة التي تُسَبِّب الفُرقة واختلال الأمن، إلىٰ غير ذلك.

هذه النَّشَرَات التي تَصدر من الفقيه، أو مِن المسعري، أو من غيرهما من دُعَاة الباطل، ودُعَاة الشَّرِّ والفُرقة، يجب القضاء عليها، وإتلافها، وعدم الالتفات إليها، ويَجب نَصيحتهم، وإرشادهم للحق، وتَحذيرهم من هذا الباطل، ولا يَجوز لأحدٍ أن يتعاون معهم في هذا الشَّرِّ، ويجب أن يُنْصَحوا، وأن يَعُودوا إلىٰ رُشْدِهم، وأن يَدَعُوا هذا الباطل، ويَتْرُكوه.

ونَصِيحتي للمسعري والفقيه وابنِ لَادِن، وجميع مَن يسلك سبيلَهم

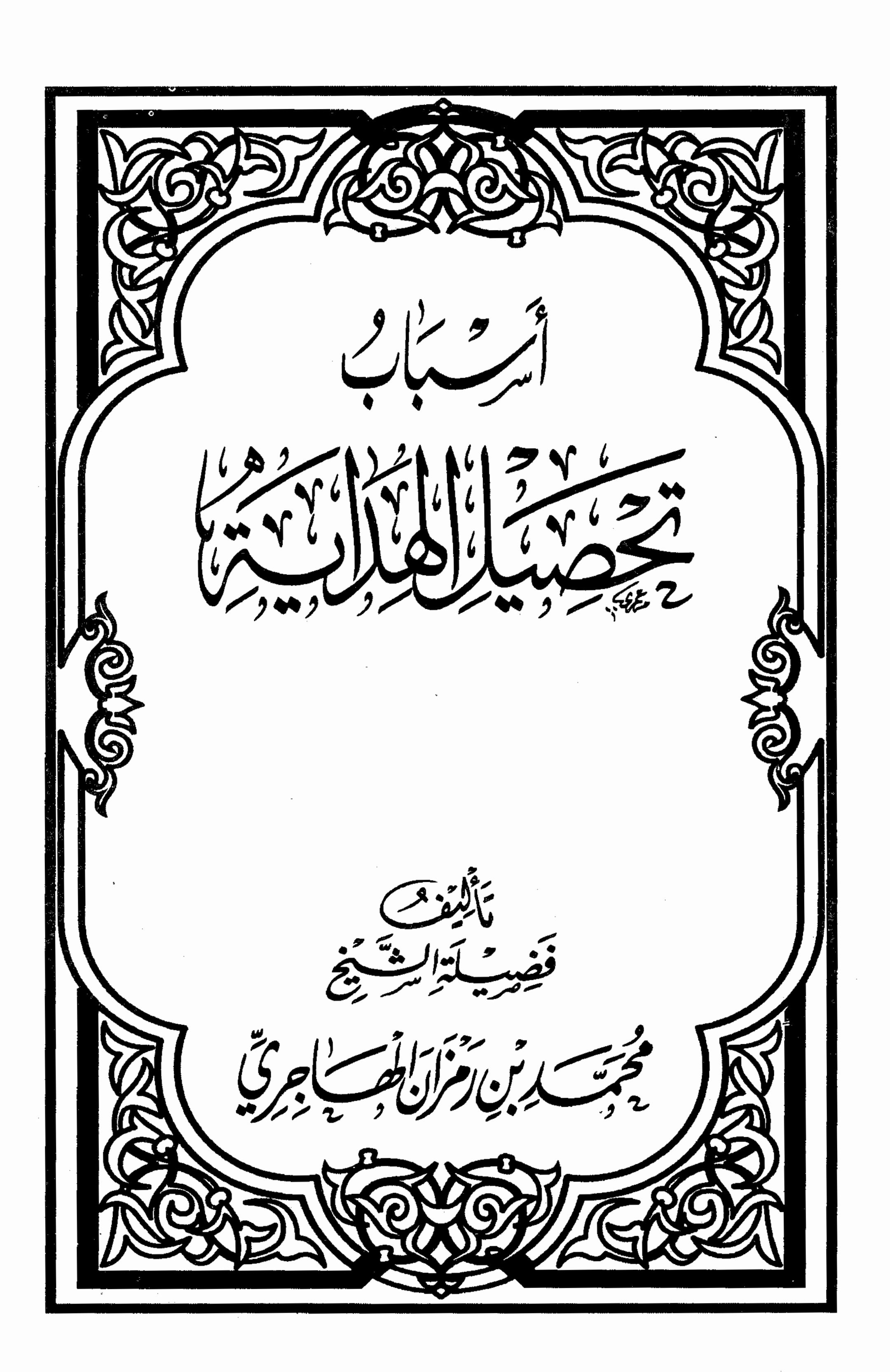
أن يَدَعُوا هذا الطريق الوَخِيم، وأن يَتَّقوا الله، ويَحْذَروا نِقمته وغَضَبه، وأن يَعُودوا إلىٰ رُشْدِهم، وأن يَتُوبوا إلىٰ الله مِمَّا سَلَفَ منهم، والله سبحانه وَعَدَ عِباده التائبين بِقبول توبتهم، والإحسان إليهم؛ كما قال سبحانه: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥٣ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ۝٥٤﴾ [الزمر:٥٣، ٥٤]، وقال سبحانه: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٣١﴾ [النور:٣١]، والآيات في هذا المعنىٰ كثيرة».

ومَنْ أَرادَ أَنْ يستزيد من مِثْل هَذَا؛ فَلْيَرْجِعْ إِلَىٰ كِتَابِ «مَنهَجِ الشَّيخ عبد العزيز بن باز في الرَّدِّ عَلَىٰ أَهْلِ البِدَعِ والمُخَالِفِينَ»، وَهُوَ مطبوع، بتقديم الشَّيخ عبد المُحسن العباد، والشَّيخ صالح الفوزان حفظهما الله.

وأخيرًا: احذر -أُخي- من هذه الأُمُور البِدعية التي تراها صغارًا، كالاجتماع علىٰ الذكر وعده بالحَصَىٰ؛ لأنها تُؤَدِّي إلىٰ الوقوع في البدع الكبار والتكفير والخُروج والدمار، كما أَدَّت بِدْعَةُ أولئك في النِّهايَةِ إِلَىٰ خروجهم عَلَىٰ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وقتاله لهم، ثم أدت إلىٰ قَتْله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

◇◇

فهرس الموضوعات

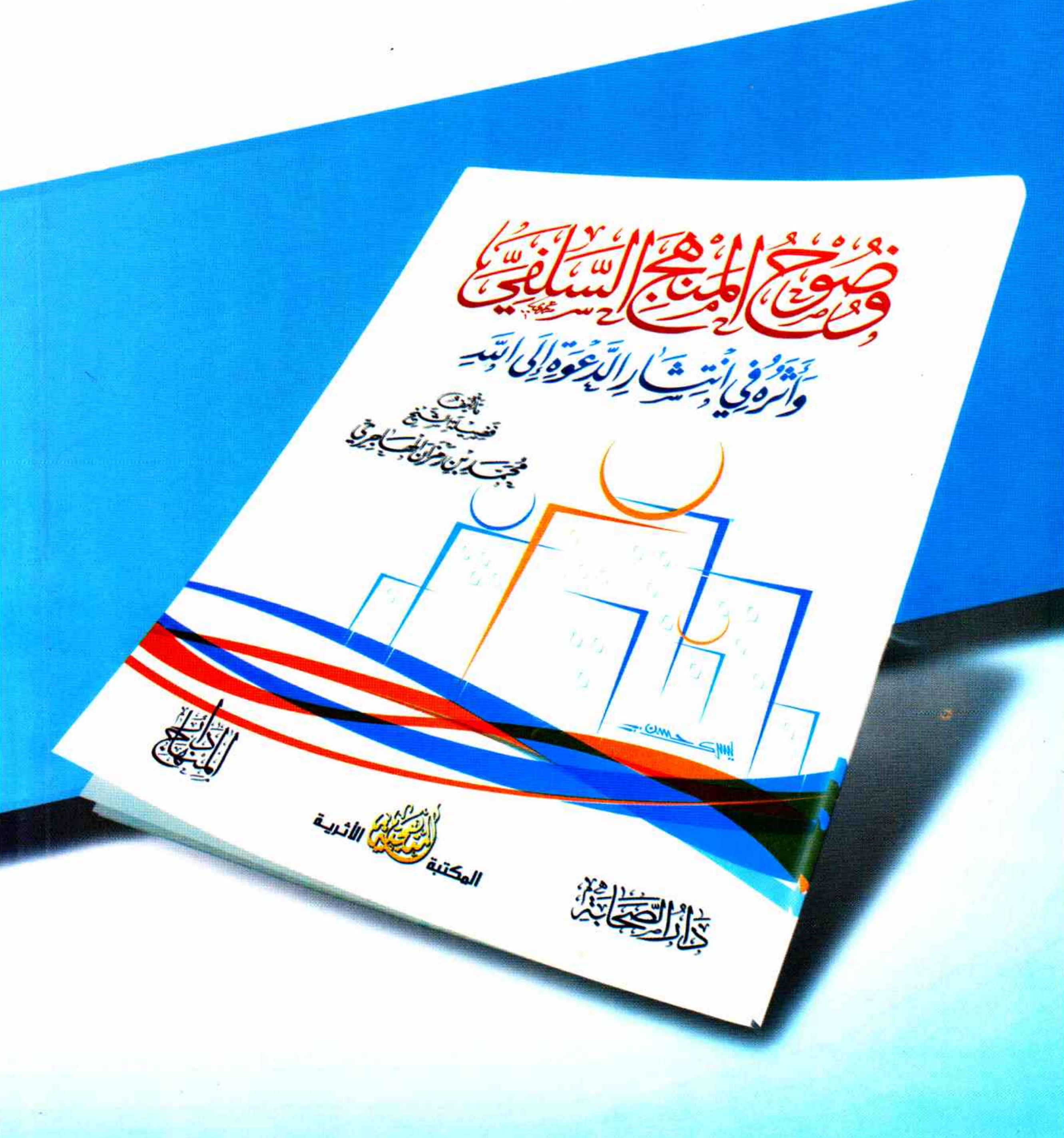


أسباب تحصيل الهداية

تأليف

فضيلة الشيخ

محمد بن رمزان الهاجري


وضوح المنهج السلفي
وأثره في انتشار الدعوة إلى الله
تأليف
فضيلة الشيخ
دار المنهاج
المكتبة الأثرية
دار الصحابة